لمحة عن موقف المستشرقين من العقل الإسلامي وإنجازاته في مجال التشريح والفقه، والأصول والكلام والفلسفة والتصوف

أرى أن ما ذكرته آنفًا يكفي لتوضيح جهود المؤسسة الاستشراقية في محاولتها النيل من القرآن والحديث؛ أصلي الإسلام، والطعن في صحتهما، والتشكيك في مصدرهما. ولم يكفهم هذا، بل راحوا يطعنون في الصرح التشريعي والفقهي الشامخ الذي أقيم عليهما (فهم حريصون على تجريد المسلمين والعقلية الإسلامية والفكر الإسلامي بصفة عامة، من كل القيم الإنسانية والابتكارات العلمية[1]، فزعم المستشرق (شيلدون آموسي) أن: الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلًا وفق الأحوال السياسية في الممالك العربية. ويزعم أيضًا أن: القانون المحمدي ليس سوى قانون جستنيان في لباس عربي[2].

(1) الدكتور زقزوق ص 106.

(2) قارن بحث الدكتور محمد سليم العوا في كتاب (مناهج المستشرقين) وللتوسع في الاطلاع على كتب المستشرقين وبحوثهم يمكن الرجوع إلى الكتب التالية:

- Arberry A. J.The Koran Interpreted. Oxford Univ.Press 1964.
- Gibb. - Coulson. N.J.: A history of Islamic Law. Edenburgh. 1964.
- Mohammadanism. 2nd. ed. Landon. 1964.
- Macdonald: Development of Muslim Theology. 1965.
- Montgomry Watt: Islamic Philosophy and Theology. 1965
- Schacht J. 1 - : An Introduction to Islamic Law. Oxford. 1956 2 - : The Origins of Muhammadan Jurisprudence. 2nd ed. Oxford. 1956
- MIngana A. An important Manuscript of The Traditions of Bukhari. Cambridge. 1936.
- Nicholson. A literary History of the Arabs. Cambridge. 1962

ويدلل هؤلاء على دعواهم بأساطير خرافية، منها: أن النبي ﷺ كان على معرفة واسعة بالقانون الروماني. كما أن فقهاء المسلمين قد تعرفوا على آراء فقهاء مدارس القانون الروماني، وأحكام المحاكم الرومانية في البلاد التي كانت لاتزال فيها هذه المدارس والمحاكم قائمة بعد الفتح الإسلامي[1].

وذهب المستشرقون كل مذهب في محاولة تجريد المسلمين من كل ميزة أو فضل أو أثر في مجال العلوم بعامة؛ والعلوم العقلية بخاصة... يقول المستشرق (سنتلانا المتوفي 1939م) في محاضراته (دروس في التعاليم الفلسفية التي كان يلقيها على طلابه في كلية الآداب بجامعة القاهرة ولا تزال محفوظة بخط يده في مكتبة الجامعة، يقول: «.. والعلوم الإسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان وأفكار اليونان، بل وعلى أوهام اليونان،... حتى لا يكاد يفهم آراء حكماء الإسلام، ولا مذاهب قدماء المتكلمين ولا يدع المبتدعين، من لم يكن له بحكمة اليونان معرفة شافية، لا مجرد إلمام، وهذا لا يحتاج إلى عيان»[2].

أما المستشرق (ألفريد جيوم Alfred Guillaume) فإنه يدافع بحرارة وحماس عن ذلك قائلًا: نرى طائفة من كتاب الغرب تذهب إلى أن الفلسفة المسماة بهذا الاسم «الفلسفة العربية» ليست إلا خليطًا من آراء القدماء لا تجانس بين مواده المتخالفة... فهم منتهون إلى أنه ليس هناك شيء اسمه فلسفة عربية، وإلى أن الشعوب الناطقة بالضاد لم تفعل شيئًا أكثر من أنها استولت على

- Wensinck, The Muslim Creed, Cambridge, 1932
- A Handbook of early Muhammadan Tradition, Leiden. 1927
- Fitzgerald, The Alleged Dept of Islamic to Roman Law, LWR. VoL 67,1951,. PP 11 • 102
- Robson: The Isnad in Muslim Tradttion» and The Material of Tradition».

(1) السابق نفسه.

(2) سانتلانا: (دروس في التعاليم الفلسفية نشرها د. عصام الدين محمد علي في الرياض بعنوان (الوجود الإلهي) ص 34 ط 1981.

الفلسفة اليونانية التي كانت شائعة بين المسيحيين من أهل سوريا، والمثقفين من أهل حران الوثنية، ثم أضافت إليها بعض عناصر استمدتها من فارس والهند».... ثم يدلي بحكمه قائلًا: «ومهما يكن من شيء فإن من الحق أن نرد الفلسفة العربية في مادتها وصورتها وغايتها إلى حضارة البلاد التي غزاها العرب، وأن نعتبر الفلسفة اليونانية المعين الذي استقوا منه مذاهبهم.. ومن الحق كذلك أن نذهب إلى القول بأن ما أضافه العرب من الثقافة الإنسانية إلى تراث من سبقهم من المفكرين، لم يكن كبير الشأن ملموس الأثر، وبالرغم من هذا، فإننا على يقين من أن ما خلفته الحضارة الإسلامية لا خطر له، أو ليس أكثر مما ورثته عن غيرها من الحضارات...» [1].

هذا ويتهم المستشرق المعاصر Nadav safran الإسلام نفسه بأنه سبب تأخر المسلمين «لأن القصور الذي جاءت به رسالة محمد أدى إلى القول بأن العناية الإلهية هي صانعة التاريخ، وإلى أن ظهر محمد كانت وجهة النظر الممكنة تقر بأن أحداث التاريخ متطلعة إلى الكشف الكامل للإرادة الإلهية، ولكن بظهور محمد انتهى كل ذلك؛ على اعتبار أن محمدًا خاتم الرسل، ولا تمام يرجى شكلًا أو موضوعًا من الإرادة الإلهية أكثر من ذلك.

وعلى ذلك يمكن للتاريخ أن يتحرك فقط صوب المستوى الذي وضعه محمد.... ومن الواضح أن الكمال من وجهة النظر الإسلامية يبحث عنه في الماضي[2].

(1) ألفريد جيوم: (الفلسفة والإلهيات) في الجزء الأول من (تراث الإسلام) ترجمة الدكتور توفيق الطويل، نشرة مصورة عن لجنة الجامعيين للنشر ص 221 - 323.

(2) Nadav Safran، Arab and Jews، P.16.

"The conception of Muhammad's mission has led to a pessimistic view history. Until the appearance of the Prophet, it was possible to of view the historical process as progess toward a perfect revelation of God's will but with the appearance of Muhammad, this process came to an end. Since Muhammad was viewed as the "Seal of the Prophets', no further perfection

أي بظهور محمد ﷺ توقفت حركة التاريخ المتقدمة الصاعدة الباحثة عن التمام والكمال، لأن محمدًا وضع المقياس الذي لا تتعداه حركة التاريخ، ومن أراد الكمال والتمام – من المسلمين – فلينظر صوب الماضي وحده، لأن المقياس الأعلى في السمو قد صنعه محمد ﷺ، ولا يستطيع أحد أن يتعداه، وهذا في رأي المستشرق (نداف سفران) اليهودي سبب تأخر المسلمين.

ليس ذلك فحسب لكن المستشرق الكبير «واط» يحاول بكل سبيل أن يبرهن على أن الشريعة الإسلامية صناعة بشرية خالصة، ويجردها من كل قيمة دينية علوية فيقول: «إن إنزال عقوبة الرجم على مرتكب جرم الزنا يبين كيف أن العادات غير العربية أصبحت إسلامية. فالعقوبة التي جاءت في القرآن لجريمة الزنا هي الجلد؛ بيد أن بعض الفقهاء قد أقروا بعقوبة الرجم إن كان مرتكب الزنا محصنًا. لقد كانت العقوبة الشائعة في المدينة – أثناء حياة محمد – هي الجلد....، وعندما دخل الإسلام بعض رجالات المسيحية اليهودية عقدوا العزم على العودة إلى العقوبة التي ألفوها. وفي واقع الأمر بدأت القصص تروي لإظهار أن محمدًا وبعض كبار صحابته قد مارسوا تنفيذ عقوبة الرجم»[1].

---

could be expected in the statement and interpretation of the Divine will. Henceforth, history could move only on or below the level to which Muhammad had raised it and, as a matter of fact, the chances that it would remain on that level were poor. It is clear that in the Islamic view, perfection is to be sought in the past to which all present activity must refer for justification.

(1) M. Watt: Ibid, P. 192

"The infliction of the punishment of stoning for adultery (if what is becoming standard Western interpretation of the confused material is accepted), shows how a non - arab custom could be Islamized.

The Quranic punishment for adultery is flogging; but some of the Jurists also recognized stoning as a punishment in the case of married persons. The normal punishment for adultery at AMedina in Muhammad's time life was flogging though to begin with and in certain cases it may have been

ثم يكشف «واط» اللثام عن نقطة أخرى وهي أن دراسات كل من «إجناس جولدزيهر ويوسف شاخت» عن تطور وتطوير الشريعة الإسلامية، قد أدت إلى تنافر وجهتي النظر الغربية المعاصرة والإسلامية، يقول «واط» لقد حدث تقدم عظيم في فهم العلماء الغربيين في القرن الأخير لتطور الشريعة الإسلامية. فالخطوة المتميزة التي خطاها «جولدزيهر» نحو نقد الحديث النبوي قرب نهاية القرن التاسع عشر، والخطوة الأخرى وثيقة الصلة بالشريعة قد أتمها حديثًا يوسف شاخت في كتابه: (أصول الشريعة المحمدية) طبع في أكسفورد 1950 وكنتيجة لهذا العمل وأعمال مستشرقين كثيرين أخرين أصبحت النظرة الغربية المعاصرة إلى تطور الشريعة الإسلامية مختلفة تمامًا عن النظرة الإسلامية العامة المعتمدة»[1].

ويأتي مستشرقنا الكبير لمناقشة فريضة الجهاد الإسلامية، والحكم عليها بأنها أضعف جوانب الإسلام وأنها ليست إلا عادة عربية قبلية قديمة، يقول «واط»: «في الوقت الذي أصبحت فيه الدولة الإسلامية إمبراطورية، وبرغم أنه من الشكوك فيه اعتبار فكرة الجهاد فكرة مناسبة أكثر من اعتبارها فكرة غير موائية، فإنه بينما

house imprisonment When many persons from the Judaeo - Christian tradition became Muslims. They tended to retain the punishment of stoning to which they had been accustomed. Eventually. stories began to be circulated showing that stoning had been sanctioned and practiced by Muhammad and some of the leading Companions

(1) I.b.d.P.199

"There have been great advances in the understanding of the development of the Shariah By Western scholars during the last century. A notable step toward in the critique of Islamic tradition was made by Ignaz Goldziher towards the end of the 19th century and another step more specifically connected with the Sahriah has recently been made by Joseph Schacht in his Origins of Muhammadan Jurisprudence. (Oxford 1950) As a result of the work of these and many other scholars. the modem Western View of the development of the Shariah differs considerably from the orthodox Muslim View.

يمكن للقبيلة في الصحراء أن تعتبر كل جيرانها بمثابة أعداء لها، فإنه لا يتيسر للدولة الكبيرة المعقدة أن تسلك هذا الطريق. وفي صدر الإسلام كان لزامًا على كل مسلم قادر أن ينخرط في معسكرات الجهاد.. وكان أكثر المسلمين يناضلون ليبقوا لائقين للخدمة العسكرية طوال حياتهم لأنهم بذلك يحققون ميزة العيشة الأرستقراطية كجزء من الطبقة الحاكمة الأرستقراطية. وعندما تراخى التوسع، ومع أنه أصبحت الحرب أكثر ضراوة، والغنائم أقل كمية، فإن كثيرًا من المجاهدين لم يرغبوا في مغادرة معسكرات الجهاد ضمن الحملات العسكرية الشاقة المتجهة صوب الثغور البعيدة.... ووجد القادة المسلمون أخيرًا في توظيف المرتزقة الذين قد لا يكونون مسلمين حلًّا لذلك.

وهكذا فإن فكرة الجهاد أو الحرب المقدسة قد توقفت وفقدت أهميتها.. ولربما كانت فكرة الجهاد أوهن الجوانب في تصور الأمة الإسلامية؛ لأنها قد طورته من الفكر القبلي العربي القديم[1].

(1) M.Watt,Ibid,P.160

"By the Islamic state had become an empire, however, it is doubtful whether the Idea of the Holy war was more advantageous than disadvantageous. While it may be possible for a desert tribe to regard all Its neighbours as enemies, it is not easy for a large and complex state to behave this way. In Muhammad's closing years, it had been obligatory for every able - bodied Muslim to take part in the campaigns unless excused. Most Muslims seemed to have been content to remain liable for military service throughout their lives, they had the privilege of living as part of a ruling aristocracy. When the expansion slowed down, however, and the fighting became harder and the booty less plentiful, many were unwilling to leave the camp sites for arduous expeditins to distant frontiers... Eventually muslim leaders are found employing mercenaries who might not even be Muslims. Thus the Idea of the Holy war ceased to have much real importance... Jihad is perhaps the weakest part of the conception of the Islamic community as it has been developed out of the old Arab idea of the tribe."

ويلح «مونتجمري واط» على توضيح فكرته قائلًا: «مع أن الإسلام قد عبر عن الناموس الإبراهيمي بصفة أكثر ملاءمة للمقولات الفردية أو الشخصية لبعض الشعوب الشرقية على الأقل، أكثر من المسيحية التي قدمت هذه التقاليد الإبراهيمية بطريقة ما، أكثر مناسبة للمقولات العقلية لتلك الشعوب التي تكون معظم الشعوب المسيحية – من الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت – من الناطقين باللغة اليونانية واللاتينية وأحفادهم.

ويقول «واط»: «إن نظرة الإسلام إلى الأسفار المقدسة Bible وإلى تاريخ المسيحية خلقت مشاكل لا يمكن تصورها البتة أمام قبول الأوروبيين للإسلام. وتوجد إشارة ضئيلة في الإسلام – لتحرك ما – نحو توحيد التعاليم المتنافسة بما يمكن مقارنته مع ذلك الاتفاق الذي تم بين الإغريق واللاتين بشأن مبدأ التثليث أو الثالوث على أنهم سواسية[1].

لكن مونتجمري واط يجزم بأن الإسلام لن يجد قبولاً عامًا، ولن يصبح نظامًا عالميًّا، حتى ولو افترضنا أنه قد أصبح الدين الوحيد على الساحة العالمية نتيجة ظرف طاريء مثل حرب عالمية أخرى قد اندلعت فأتت على الديانات الأخرى

(1) M. Watt. Ibid. P 275.
"Although Islam has produced a from of the Abrahamic tradition more suited to the individual categories of at least some oriental peoples than Christianity. it Is a long step from that to allowing that Islam has produced a from of the Abrahamic tradition in any way suited to he intellectual categories of the peoples who constitute the Christendom - Catholic. Orthodox. and Protestant. the great body of Greek and Latin speakers and their descendants. The attitude of Islam towards the Bible and towards the history of Christendom has made it almost wholly unaware of the problems Insolved in presenting Islam to Europeans. There is a little sign in Islam of any move towards the integration of rival traditions comparable to the agreement between Greeks and Latins to regard their formulations of the doctrine of the Trinity as equivalent.

وبقي الإسلام وحده، فهل سيقبله المجتمع الإنساني؟ يرى «واط» أن الناس لن يقبلوه لسببين رئيسيين هما:

(1) لأن الإسلام قد اعتمد في أصوله وفي تطوره على التعاليم اليهودية والمسيحية.

(2) تحت هذا الظرف المفترض (أن الإسلام قد أصبح الدين الوحيد نتيجة حرب عامة أخرى) فإن الذين سينتقلون للإسلام من تعاليم أخرى تختلف في تصوراتها العقلية عن تلك التي يتمتع بها الإسلام، والتي من المفترض أن يتقبلوها كما هي بدون تمحيص، وأن ذلك سيكون خسارة فادحة للمجتمع الإنساني فيما يتعلق بعنصر التنوع والثراء[1].

فالإسلام – كما يرى «واط» – ما هو إلا تطوير للناموس الإبراهيمي ليلائم بعض شعوب الشرق الأوسط فحسب نظرًا لطبيعة تصوراتهم وأنظارهم العقلية،

(1) Ibid. PP. 275 - 6.

"Suppose that as a result of another world war in which all other religions were seriously weakened. Islam became the dominant religion throughout the world and that its rivals gradually faded away; could this be regarded as a satisfactory Integration of worid society?

The answer would seem to be that this could not be satisfactory for two reasons. One is that such a world - religion would presumably not have fully accepted and acknowledged its dependence on Christian and Jewish traditions in its origins and its formative period and such a failure to accept one's past is as unhealthy for a society as for an individual. the other reason is that under the supposed circumstances. those who came Into Islam from traditions whose intellectual categories were rather different from the intellectual categories of the Islamic tradition would presumably have to accept without question the formulations in terms of the intellectual categories of the existing Islamic tradition. This would be a collossal loss to world society of an element of variety and richness. In the course of time. this movement of loss might in some measure be made good by a I diversification within Islam but that coud not be reckoned on."

وأنه لا يلائم الشعوب الغربية؛ لأنه لا يلبي تطلعاتهم العقلانية التي ملأتها المسيحية بعد أن قبلت الخلفية الإغريقية، وكذلك فإن العالم أجمع لن يتقبل الإسلام كنظام عالمي لأنه مؤسس على أصول مسيحية يهودية، ولأنه سيفرض مقولاته على الذين سيؤمنون به دون تمحيص لها أو تفكر فيها وبهذا يقضي الإسلام على التنوع الفكري والثراء العقلي للإنسانية، ولن تصبر البشرية على ذلك.

ومن الغريب الواقع هذا التفسير الطريف الذي جادت به قريحة «W.M.Watt» لنجاح الإسلام وقبول الشرق له على نطاق واسع؛ لأن الإسلام كان – في رأيه – رد فعل أو كان بمثابة إجابة الشرق ضد تحديات الغرب المتمثلة في احتلال الإسكندر لأقطار الشرق الأوسط، ونشر موجة من التأثير اليوناني في المنطقة؛ يقول «واط»:

«لقد كان من التهور الكبير ادِّعاء أحد مواطني مكة المعزولة أنه قد أسس دينًا مناظرًا للديانتين اليهودية والنصرانية. كيف يتأتى لرجل لم يتجاوز أتباعه ثلاثمائة رجلًا في معركة بدر سنة 624م أن يضع نفسه في نفس مستوى عيسى الذي يبلغ عدد أتباعه ملايين داخل الإمبراطورية الرومانية وملايين خارجها في الشرق والغرب معًا؟....

لقد كانت هناك حاجة يجب أن تلبَى، وجاء الإسلام ملبيًا إياها. لقد كانت تلك الحاجة دينية في الأساس لكن السياسة قد غطت عليها. لقد لوحظ أن العرب كانوا في ريبة من اليهودية والمسيحية معًا بسبب غلبة المطامع السياسية عليها. ويمكن أن يقال إن محمدًا كان إجابة الشرق ضد تحدي الإسكندر الذي اجتاح الشرق الأوسط غازيًا مع ما صحبه من موجة من التأثير الإغريقي [1]. وقد انتقل الصراع بين التأثير الإغريقي والشرقي إلى المجال الديني.

(1) معنى هذا أن واط يرى أن الإسلام ليس أكثر من حلقة في سلسلة الصراع بين الشرق والغرب، ولعله يشير هنا إلى نظرية توينبي في التحدى والاستجابة (challenge and response) وبهذا يسلخ منه ربانيته وأنه وحي يوحي، وبهذا لا يكون محمد ﷺ إلا تعبيرًا عن تحدي الشرق للغرب، وليس رسولًا إلى الناس كافة، ورحمة للعالمين.

قفًّا، لقد كانت المسيحية ديانة شرقية غزت أوروبا، لكنها هناك ضمنت (لغمت -al gamated) بخلفية إغريقية[1]. وبتعبير آخر بينما عبرت المسيحية عن تقاليد العهد القديم (Old testament) بصياغة مناسبة للحاجات الروحية والتصورات العقلية لمعظم طبقات مواطني الإمبراطورية الرومانية، لم يحدث شيء مشابه في المسيحية بتقديم تعبير للتقاليد المسيحية اليهودية judaec – Christianity لسكان الشرق الأوسط.

لقد كان الإسلام قادرًا على تلبية الحاجة التي لم تف بها المسيحية؛ تلك الحاجة الملحة لشعوب الشرق الأوسط الناطقة بغير اللغة اليونانية إلى التعبير عن التقاليد الإبراهيمية بنفس تصوراتهم العقلية[2]. ولم يكن محمد في وضع يسمح له بالتنبؤ لكل ما ستتطور إليه تعاليمه في المستقبل، لكنه استطاع أن يرى في زمانه حاجة العرب إلى التعبير عن التقاليد الإبراهيمية بنفس مقولاتهم، وبدون إقحام للسياسة في ذلك[3]».

(1) يقر هنا «واط» بما هو معروف أن الديانة المسيحية التي انتشرت في أوروبا ليست هي التي جاء بها عيسى ابن مريم عليه السلام، ولكنها الديانة التي لغمها أو ضمنها القديس بولس وآباء الكنيسة بخلفية إغريقية فلسفية وثنية (انظر كتاب: Christianity and Hellenism).

(2) يعود «واط» فيؤكد أن الإسلام لا يناسب إلا شعوب الشرق الأوسط.

(3) W. M. Watt. Islam and the Integration of Society. PP. 268 - 9

" There was great audacity in the claim of a citizen of obscure Mecca that he was founding a religion parallel to Judaism and Christianity.

How could a man who had only 300 followers at the battle of Badr in A.D. 624 put himself on the same level with Jesus whose followers then numbered in the millions of the Roman empire and the millions outside of it in both east and west? This would seem to be an undue exaggeration of his importance.

Nevertheless a case can be made out for holding that this conception of parallelism was not ideological. There was a need to be met and Islam met this need. it was fundamentally a religious need but politics was involved. it had been noted that the Arabs were suspicious of both Judaism and Christianity because of their political implications.

Muhammad. it has been said. was the answer of the east to the challenge

ثم يقدم «واط» مثالًا على عقيدة المسلمين الراسخة في تحريف التوراة بقصة الذبيح التي وردت في القرآن الكريم واجتماع المفسرين المسلمين على أنه كان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ثم يؤول انفراد الطبري المفسر في قوله إنه إسحاق بأن الطبري كان من الفرس الذين يعتبرون أنفسهم إلى جانب اليهود أنهم أبناء إسحاق، في مقابل الحزب العربي من المسلمين الذين هم أبناء إسماعيل، يقول «واط»: «والمثال الطريف على قوة عقيدة تحريف أسفار الكتاب المقدس متضمن في تفاسير قصة تضحية إبراهيم بابنه، ذكرت هذه الواقعة في القرآن في السورة رقم 37: 102 – 110 لكن اسم هذا الابن لم يذكر، ومن المفترض أنه لا سبب معقول لكي يفترض كل واحد ابتداءً أن الذبيح لم يكن إسحاق.

وبمرور الوقت أصبحت هذه المسألة مثار تجاذب بين المسلمين المتنافسين من عرب وعجم وفرس، فاعتبر إسحاق جد الفرس واليهود معًا.. وكثير من النصوص التي ساقها الطبري مبكرًا بينت أن الذي أخذ للذبح في التوراة (العهد

---

of Alexander whose conquest flooded the Middle East with a wave of Greek influence. The struggle between Greek and oriental influences had been transferred to the religious plane. Christianity, an oriental religion, had invaded Europe but there it had become amalgamated with the Greek outlook. In other words, while Christianity expressed the Old Testament tradition in a form which suited the intellectual categories of most classes of the spiritual needs and Citizens of the Roman empire, nothing similar was done to provide an expression of the Judaeo - Christian tradition for the inhabitants of the Middle East. Islam was able to meet a need which Christianity had not met, the need of certain of the non - Greek - speaking peoples of th Middle East for an expression of the Abrahamic tradition in their own intellectual categories. Muhammad was not in a position to foresee all this future development of his teaching but it could be seen in his time that the Arabs were in need of an expression of the Abrahamic tradion in their own intellectual categories and without political implications.

Obeikandi.com

القديم) هو إسحاق؛ وأن الطبري الذي كان ينحدر من أصل فارسي كان يفضل هذا الرأي. أما الحزب المناصر للعرب فقد أجاب بأن هذا موضوع من مواضيع تحريف التوراة. وفي النهاية انتصر الحزب المؤيد للعرب وأصبح اليوم اعتقادًا عامًّا بين المسلمين أن ابن إبراهيم الذي كان على وشك أن يضحي به هو إسماعيل. وبهذه الطريقة فإن وجهة النظر التي تبناها العرب وأيدوها، وكانت مؤيدة كذلك بعقيدة تحريف التوراة في هذا الموضوع، قد تغلبت على التفسير الطبيعي للقرآن طبقًا لما جاء في أسفار العهد القديم. وليس من المبالغة في القول أن نذكر أن عقيدة تحريف التوراة قد سيطرت على عقول المسلمين لدرجة أنهم لم يأبهوا كثيرًا إلى ما إذا كانت تفاسيرهم للقرآن مطابقة للتوراة والإنجيل أم لا»[1].

(1) M. Watt, Ibid. PP. 264 - 5

"An interseting example of the strength of the dogma of "corruption" is contained in the interpretations of the story of Abraham's sacrifice of his son. The event is mentioned in the Quran (XXXVII; 102 - 110) but the son's name is not given. There is no reason for supposing that to begin with, anyone would suppose that the son was not Isaac. In the course of time, the question became intertwined with the rivalry between the Arabs and the Persians. Isaac came to be regarded as the ancestor of the Persians as well as the Jews.... Many of the early authorities quoted by al - Tabari knew that in the old Testament, Isaac was taken for the sacrifice and al - Tabari, himself of Persian origin, prefers this view. The Pro - Arab party replied that this wasa place where the scriptures had been corrupted. In the end, the pro - Arab party won and it is now universally held by Muslims that the son Abraham was about to sacrifice was Ismail. In this way, a view which honoured the Arabs and which supported and was supported by the dogma of "corruption" overcame the natural interpretation of the Quran in accordance with the Old Testament. It is not too much to sqy that the belief that the Bible was corrupt had so come to dominate the minds of muslims that they no longer cared whether their interpretions of the Quran were in accordance with the Bible or not. (pp. 264 - 265).

فالمستشرق «واط» يفترض على المفسر أن ينظر في التوراة والإنجيل ليستمد منها تفسيره الطبيعي للقرآن، وإن لم يفعل فإن تفسيره حزبي متعصب للعرب من جهة، وغير طبيعي من جهة أخرى، وهذا ليس مستغربًا من «واط» فانظر ما كتبه في بحثيه:

The Missionary Task of the Church in Syria and Palestine. Int. Rev of Mission. 36 - 62 1947.

The Church in The Muslem World. S. W. Geneva. 1948.

ويأتي واط إلى القول بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية لحاجات العصر؛ ثمة محاولة جرت حتى الآن تشير إلى بعض الوظائف الإيجابية للشريعة باعتبارها وسيلة للوحدة الاجتماعية الإسلامية، لكن السؤال الذي يجب أن يُسأل هو عن الوظائف السلبية للشريعة، وعما إذا كانت تؤدي وبأي طريق إلى تمزق المجتمع الإسلامي. لكن الطبيعة المميزة للشريعة على أنها أمر خارق معجز يخلق صعوبات للدول الإسلامية التي تحاول في الوقت الحاضر إقامة مؤسسات دستورية عصرية على أسس من الشريعة. ولأن الشريعة لم تكن قانونًا عمليًّا تطبيقيًّا حتى في دولة العصور الوسطى للإسلام فإن من العسير جدًا مواءمتها أو صلاحيتها لحاجات اليوم»[1].

(1) M. Watt. Ibid. PP. 207 – 208.

"So far. an attempt has been made to indicate some positive functions of the Sharia as an instrument for Islamic social integration but now it must also be asked whether It has any negative functions

and whether it contributes in any way to the desintegration of Islamic society. This peculiar nature of the Shariah as the mark of charisma creates difficulties at the present time when Islamic states try to frame modern constitutions on the basis of the Shariah. Since the Shariah was hardly a practical code even for a medieval state it is extremely difficult to adapt it to the needs of today.

See also; An Introduction to Mohammadan Law and Bibliography. by Nicolas P. Agnides. SMP 1981 Lahore.

ولأن الشريعة – عند المستشرقين لم تعد ملبية حاجات العصر – فإن Phillp Hitti يبشر بتحديث العالم الإسلامي عن طريق اعتماد العلمانية القاضية بإقصاء الاعتقاد في العناية الإلهية منهجًا وسبيلًا، يقول في كتابه: «Islam and the west، Ant historical cultural survey، Princeton، 1962».

«التحديث على المستوى العقلي الروحي يتطلب العلمانية؛ العلمانية التي تعني أكثر من الفصل بين الدولة والكنيسة، إنها تحل تفسير الأحداث التاريخية والوقائع الجارية للفرد تفسيرًا عقلانيًّا مؤسسًا على القوى والعوامل المادية والنفسية، محل تفسيرها بالعناية الإلهية. ومن النادر أن تصادف إصدارًا لصحيفة عربية سيارة تفتقر إلى تكرار ذكر اسم الله في مصدر تقاريرها عن الولادة والموت، عن الصحة والمرض، عن الحظ والتعاسة، عن النجاح والفشل – إنه بقية من التفكير البالي»[1].

أما المستشرق المعروف Dr. Wilfrid cantwell smity فيتحدث عن ثلاثة أنواع متباينة من الإسلام هي: دين القرآن، دين العلماء، ودين الجماهير. ويمتدح تركيا الكمالية لأنها ألغت النوع الثاني من الدين، وأصبحت بذلك رائدة للعالم الإسلامي كله، يقول (سميث): هناك ثلاثة أنواع من الإسلام؛ ديانة القرآن، وديانة العلماء، وديانة الجماهير. وهذا النوع الأخير – إسلام الجماهير – إسلام خرافي أسطوري ضبابي وتقديس أعمى. والنوع الثاني مستغرق تمامًا في شريعة ما قبل العصر....

(1) Philip Hitti. Ibid. P. 93.
"Modernization on the intellectual - spiritual level involves Secularization means more than separation between.
church and state. It replaces providential interpretation of historic events and current happenings to the individual with rational interpretation based on physical and psychological forces. Hardly a current issue of an Arabic newspaper lacks repeated mention of the name of Allah in connection with reports of birth and death. sickness and health fortune and calamity. success and failure - a relic of bygone thinking."

ولقد تخلصت تركيا الكمالية من النوع الثاني للإسلام تمامًا، ولقد كان الوقت مواتيًا لمحوه، ونحن – بهذا – قد قدمنا الطريق أمام العالم الإسلامي، الذي يحتاج إلى إصلاح، وتقف تركيا في مقدمة الصفوف في العالم الإسلامي في مجال الإصلاح الديني»[1].

ثم يؤكد ولفريد سميث على إحلال مؤسسات جديدة أكثر مواءمة للظروف المعاصرة محل تلك المؤسسات الإسلامية. ويؤكد على أن الإسلام كان تقدميًّا لوقته، لكن الزمان والظروف قد تغيرت اليوم على نطاق واسع.. ولكي يكون الإسلام مفهومًا ومقبولًا من الطبقة المثقفة عليه أن يعيد النظر في أطروحاته تمامًا بطريقة حديثة»[2].

(1) Wilfred Cant Well Smith. Islam in Modem History. Princeton University Press 1987. "There are three (slams: the religion of the Quran. the religion of the ulema and the religion of the masses. This last is superstition.
obscurantism. fetishism. The second is bogged down with the whole weight of out - of - date legalism - impossible stuff making it nesessary to get a Fatwa before one can have one's teeth filled by a dentist. Turkey has got rid of the second. It was time to abolish it. We have thus led the way of the Muslim world. Islam needs a reformation. To this extent Turkey is in the forefront of the Islamic world."

(2) W. C. Smith. Ibid. P. 178.
"More controversially. this spirit can be detected in suggestions or assumptions that the institutions of Islam can and should be replaced with new ones more in tune with contemporary conditions.
Already during the 1920's radical changes In the rites and is the decision arising from observances of Islam including its prayer ritual and mosque services were being officially discussed. The kemalists are prepared to consider such proposals seriously. Islam was progressive tor its time but times and conditions have meanwhile changed. The logic through which orthodoxy was earlier expressed has ceased to be an accepted mode of thought and ceased to be an effective Instrument of communication.
Therefore. they feel If Islam or any other religion Is to make itself under-

ثم يدلف إلى نقطة أخرى يرى فيها أن الشعوب المسيحية في أوروبا وتركيا تقرر مصيرها ومصير شعوبها بنفسها خيرًا أم شرًا، وهذا خلق وإبداع قد يكون حسنًا أو سيئًا؛ لكنه على كل حال نوع من الإبداع. والمبدع الخلاق أفضل – من كل وجه – من ذلك الذي لا يبدع ولا يخلق.. وإن أردنا أن نميز بين أولئك الذين يبدعون والذين لا يبدعون، ولا يعرفون الإبداع، بل ولا يقبلونه، فيبدو أنه من غير الملائم أن يقال إن المتدين أو المسلم وحده هو غير المبدع[1].

ويطرق الدكتور Kenneth cragg مسألة تغير الزمان وتغير ظروف المجتمع، وبالتالي يجب إعادة النظر في الأحكام والتعاليم الإسلامية على ضوء ذلك، ويقدم مثالًا على ذلك تحريم الوثنية والصور التماثيل وما إليه في بداية الإسلام؛ لأن العرب كانوا شديدي التعلق بعبادة الأصنام والأوثان، ثم انتشر التوحيد وسيطر وتمكن من القلوب والعقول، فلم يصبح لتحريم الصور والتماثيل والأصنام مغزي، خصوصًا إنه كان يحرم الفنانين من الإبداع والخلق في مجال الفنون، ومن ثم على المسلمين أن يعيدوا النظر في هذا الشأن[2].

stood. let alone acceptable to educated men. Its propositions will have to be formulated In quite a new way.

(1) W. C. Smith. Ibid. P. 181.

"People in Western Christendom and In Turkey and incipiently now throughout. the world are determining their own and their nations future for good or ill. They may be bungling; that Is. creating badness. But that Is vitally different from not being creative at all. While one may wish to distinguish between men who do not know It and do not accept it. it would seem inept to call religious or Muslim only the uncreative.

See : also Modern Islam In India. By W.C. Smith. Lahore. 1969.

(2) Dr. Kenneth Cragg. The Dome and the Rock; Jeruselem Studies in Islam. London. 1961. P. 138.211.

وانظر للمؤلف كذلك كتابيه:

- «The Call of Minaret. Oxford. 1956. P. 325

ويعود المستشرق ويلفريد كانتويل فيقترح علينا ما يجب أن نفعله كي نصلح ديننا ونجدده[1]. ثم يقول إن أي مجموعة تريد أن تصلح الإسلام علينا أن نسألها على أي سلطة تقيم مقترحاتها؟ فالإصلاحات الكمالية في تركيا قد استندت إلى ثورة أتاتورك؛ هذا الحدث العظيم الذي كان بمثابة ميلاد جديد لتركيا، الذي انتشلها من الانحطاط والضعة إلى القوة والعزة [2]... فالأتراك يشبهون الغربيين المعاصرين..، أنهم شعروا أنهم صانعوا مصائرهم والمسئولون عنها[3].

ثم ينادي المستشرق اليهودي (Goitein) بضرورة إحلال العاميات المحلية محل لغة القرآن الفصحى؛ لأن اللغة العربية الفصحى غير قادرة على مواجهة حاجات المجتمع الحديث[4].

- Islamic Survey. Edinburgh 1965. P107.

«Even supposing. as the argument runs. the prohibitions in the Quran and Hadith as they have been interpreted are valid. times obviously change : they change. indeed because of the very success of Islam. A society like that of the Hijaz in the Prophets day. was so prone to idolatry that only the most ruthless prohibitions would suffice. With Quraish. nothing would abvail but a total and such mushrikin as the absolute veto on pictures of living beings. it would. however. be folly to treat a Muslim society today after centuries of Islamic tauhid with the same stupid severity.

Such a policy would be equivalent to saying that Islam had failed and that no Muslim could be trusted not to take a picture for an idol.* A ban. once necessary. can be safely lifted : to dispute it would seem to disqualify Islam itself. (p. 131)... The Muslim fear of idolatry is always sound. But the security against it is not in the banning of artists any more than God›s unity is safeguarded by vetoing the Incarnation of Christ into man. It is a true recognition of Him in undivided love. That love may include unashamedly the help and benediction of the senses and the arts".

(1) D. W. C. Smith. Ibid. P.. 307 – 8.

(2) Ibid. P. 190

(3) Ibid . P. 180

(4) S. D. Goitein. Jews and Arabs. New York. 1955. PP. 43 - 46.133 - 134.

" In Western Europe. the surrender of Latin to Local languages and" the rise

openkanal.com

ضل بعض هؤلاء المستشرقين ضلالًا بعيدًا، وأضلوا جيلًا كثيرًا فقالوا إن القرآن معوق للفكر مقيد لحريته[1]. وأن المسلمين تلقوا فيه أحكامًا ولم يتلقوا فيه عقائد[2] وأن النظر العقلي العربي كان محاولة لإصلاح القرآن وتكميله في الجانب الذي قصر فيه[3]... ويرى (جيوم) أن من العسير أن نقول إن القرآن قد قدم إلى المؤمنين المادة اللازمة لتكوين مذهب في فهم الله»[4].

وفند كل من الشيخ مصطفى عبد الرازق في «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية»، والدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة في تعليقاته على كتاب (دي بور) والدكتور محمد البهي في «الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي» والدكتور محمد مصطفى الأعظمي في (دراسات في الحديث النبوي) والشيخ عبد الجليل عيسى في كتابه (صور استشراقية) وعباس العقاد في (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه)

---

of national vernaculars marked the transition from medieval to modem times. The Arab countries are in a similar situation. The difference between the classical literary language and the colloquial - even that spoken by the most educated persons - is immencse with all the negative effects of such a dualism on literature. spiritual development in general and even on morals. Twenty years ago it seemed that Egypt would actually do something about this grave problem and I venture to surmise that if at that time Egypt had been a really independent state whith some outstanding creations - not only some pleasant collections of short stories - available in the local vernacular. we would have had today a national Egyptian language which would have done away with that linguistic dualism that is so detrimental to the Arab mind. (PP. 133 - 134)

(1) هذا رأي تنمان.

(2) هذا رأي دي بور في «تاريخ الفلسفة في الإسلام» ص 66، ترجمة د. أبو ريدة، طبعة القاهرة 1970م.

(3) هذا رأي Munk.

(4) مرجع سابق ص 278 ويمكن للقارئ الكريم أن يراجع بحث المستشرق أيرنست باركر Barker أستاذ السياسة بجامعة كمبردج في (تراث الإسلام) الجزء الأول – ليرى ما فيه من تعصب وغلو.

و(ما يقال عن الإسلام) والدكتور مصطفى السباعي في (السنة ومكانتها) وإدوارد سعيد في (الاستشراق) والدكتور زقزوق في (الاستشراق) و(الإسلام في الفكر الغربي) - فند هؤلاء وغيرهم - بعض مزاعم المستشرقين تفنيدًا علميًّا منهجيًّا.

وخلاصة القضية أن كثيرًا من هؤلاء المستشرقين قد تواطؤوا على دراسة الإسلام بمنهج معوج أشد ما يكون الاعوجاج، وقدموا الإسلام في صورة كريهة مشوهة لمواطنيهم، فسمموا عقولهم وأفسدوا مشاعرهم تجاه الإسلام.. هذا من ناحية... ومن ناحية أخرى واتت ظروف كثيرة وتضافرت في أن تجعل لهم تلاميذ مخلصين من أبناء المسلمين أنفسهم، يحملون رسالتهم، ويسيرون في الشوط إلى غاية مداه... وقد مكن الاستعمار لهؤلاء التلاميذ في أرض الثقافة والإعلام والتربية والتعليم والاقتصاد والقضاء والأمن والسياسة والحكم.. إلخ في بلادهم الإسلامية، فساقوها سوقًا نحو الغرب، وحملوها حملًا على أن ترد أسوأ موارده وأخسها..وتترك أرقاها وأنفعها، وعمل هؤلاء على سلخ العالم الإسلامي - بقصد وبدون قصد - من هويته وأصالته وذاتيته وخصائصه، ومن ثم ضاع الطريق من تحت أقدامه، لأنه لم يصبح غربيًّا، ولم يبق إسلاميًّا كما كان.. وإنك قد تقرأ لبعض تلاميذ المستشرقين بحوثًا وكتبًا فيصعب عليك أن تحدد ما إذا كانت لمستشرق أو مستغرب.. فالمنهج المتنكب للصراط السوي هو هو، والقضايا المثارة هي هي!! مثل قضية تطوير الشريعة، وإصلاح نقصها، وفصل الدين عن الحياة، وتطوير اللغة العربية.. وتركيز الإحساس بالعجز في نفوس المسلمين، وعدم صلاحية دينهم للعصر وعدم مواكبته لتطوره إلخ.

«حتى يترسخ في وجدان المسلم أنه لا يستطيع أن يعيش عيشة عصرية راقية وهو يتمسك بالشريعة، وأن الإسلام إذا كان صالحًا لمواجهة حالة البداوة، فإنه غير قادر على مواجهة العصر الحاضر بتعقيداته وظروفه المركبة، ومن ثم على المسلم أن يختار بين الدين والحضارة الغربية، وما يؤدي إليه أحدهما من جمود، وما يؤدي إليه الآخر من تطور ومدنية...

«ولا شك أن انقطاع المسلمين – فترة طويلة – عن ممارسة الاجتهاد، وتراكم عديد من الظواهر والمشكلات التي تنتظر الحل الإسلامي لها، كان من العوامل التي تستغلها هذه البحوث لزرع اليأس والقنوط، ودفع المسلمين إلى التخلي – ولو جزئيًّا – عن الإسلام، وكانت هذه الآثار والنتائج تلقي بظلالها الثقيلة على مفكري الإسلام الذين انشغلوا بالبحث عن سبل النهضة الإسلامية وإقامة المشروع الحضاري الإسلامي[1].

(1) د. مدكور ص 153.

obeikandl.com